أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتى القرن السادس الهجري

أ.د. توفيق مزاري عبد الصمد
(جامعة يحيى فارس بالمدية - الجزائر)

مقدمة

رغم ما حظي به الفكر الأشعري في المشرق الإسلامي من اهتمام الباحثين والمفكرين من دراسة، سواء من حيث تطوره التاريخي أو مضامينه الفكرية، فقد بقي هذا الفكر في الغرب الإسلامي قليل البحث والدراسة إلا في الفترات المتأخرة.

والملاحظ أن حضور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي لم يكن حضورا شبيها بحضور المذاهب العقدية التي سبقته، فقد تميز بكونه عرف تأصيلا وترسيما استمر من القرن الرابع أو الخامس الهجري إلى يومنا هذا، وهذا ما جعله ينمو نموا طبيعيا حتى أصبح مقوما أساسيا في تراثه العقدي والفكري. كما عبر عن ذلك عبد الواحد ابن عاشر (تـ 1040هـ) في المرشد المعين وهو يحدد هوية المغرب العقدية والفقهية بقوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك وطريقة الجنيد السالك

إن الترصد التاريخي لتأثير العقيدة الأشعرية لبلاد المغرب، يقودنا إلى فحص واقعه العقدي والمذهبي في المرحلة الممتدة ما بين الفتح الإسلامي وقيام دولة المرابطين في القرن الرابع الهجري العاشر الميلاد.

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس واعتناق الناس الإسلام، حرص الفاتحون الأوائل ومن قدم إليه من الصحابة والتابعين على تبيين تعاليم الإسلام بين أهل المغرب، وأرسلوا إليهم من يقوم بتعليمهم القرآن والأحاديث، وما إن حلّ القرن الثاني للهجرة حتى ظهر بين المغاربة رواة للحديث وأئمة محنكون يتقنون الجرح والتعديل، يميزون بين صحيح الحديث وحسنه وضعيفه، وقد تميز موقفهم بما كان عليه السلف الصالح من التسليم التام بكل ما جاء به الإسلام وعدم المناقشة في أمور العقيدة.

ومع أن أهل الغرب الإسلامي ظلوا ردحا من الزمن محافظين على عقيدة السلف لا يخوضون في الفرق والطوائف، فقد تسربت إليهم المذاهب الفقهية والحركات المذهبية وتمكنت من أن تبسط سلطانها عليهم بكيفيات متفاوتة.

فالخوارج وهي فرقة كلامية تمكنت أفكارها من أن تصل إلى المغرب الإسلامي زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ) الذي ضيّق عليهم في المشرق، فالتجأوا إلى المغرب لأنه كان بعيد عن سلطان الخلافة،[1] فوجدوا أتباعا ومؤيدين أرادوا بدورهم التخلص من ظلم الأمراء الأمويين، وقدر لهؤلاء الخوارج الإباضية والصفرية من تجنيد عدد كبير من الساخطين وكونوا أتباعا، وأقاموا كيانات سياسية لا تزالا آثارها إلى اليوم.

(1) ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنا ط 1981، ص145.

أما المعتزلة، فقد كان لهم حضور مبكرا في الغرب الإسلامي، منذ أوائل القرن الثاني الهجري، ففي سنة 131هـ بعث واصل بن عطاء بأتباع له إلى المغرب الإسلامي، أهمهم «عبد الله بن الحارث» فأجابه خلق كثير، بل أن بعض المصادر تشير إلى أن تأسيس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى قام على سند من الاعتزال، لكن بعد زوال دولة الأدارسة تراجع سلطانهم، ثم كان تغلغل الفقه المالكي في الغرب الإسلامي إيذانا بتراجع الفكر الاعتزالي، ولاسيما بسبب تقرب معتزلة المشرق إلى السلطة العباسية التي كان يكّن لها المغاربة كراهية وعداء. ومع ذلك ظلت أفكار الاعتزال مبثوثة عند بعض الأفراد، وظهر في حلقات الجدال العقدي والسجال العلمي كما أوردتها بعض نصوص المصادر، وهذا ما يؤكد الدور الفعّال الذي قام به الفكر المعتزلي في ثقافة الغرب الإسلامي، وذلك بأن ساهم في خلق حلقات التعايش وتأسيس أدب المناظرة والحوار.

والمرجئة، رغم أن أفكارهم ومعتقداتهم لم تعرف انتشارا كبيرا في المشرق، فإنها استطاعت أن تصل إلى بلاد الغرب الإسلامي، وذلك بسبب تشجيع بني أمية لآرائها المغالية في الاعتدال. ورغم ذلك ظل الإرجاء منبوذا في المغرب كما ذكر صاحب شجرة النور الزكية أن «يحيى بن سلام اتهم بالإرجاء ولكنه نفى التهمة عن نفسه، إذ أتاه رجل وقال له: يا أبا زكريا إنهم يقولون إنك تقول بالإرجاء، فضرب بيده على جدار القبلة وقال: لا، ورب هذه القبلة ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط، وقد حدثتكم أنه بدعة» ثم عقّب قائلا: ولكن نار هذه الفتنة سرعان ما خمدت والتزم سكان الشمال الإفريقي بالمذهب المالكي والتزموا أقوال وأتباع مالك. ولهذا مع نهاية الدولة الأموية في المشرق بدأت نهاية فكر الإرجاء في العالم الإسلامي بما في ذلك المغرب الإسلامي.

أما الشيعة، فمنذ أن دخل «عيسى بن محمد النفس الزكية» إلى المغرب في بداية القرن الثاني للهجرة، بدأت تنغرس في أوساط أهل المغرب الإسلامي محبة آل بيت الرسول- صلى الله عليه وسلم- ثم كان لقيام دولة الأدارسة على يد إدريس الأول مناسبة أخرى كي يزداد أهل المغرب حبا لآل البيت، وطرح مسألة المفاضلة في الخلافة بين الخلفاء الراشدين. وهكذا امتد المذهب الشيعي إلى المغرب، ثم نقل «محمد بن عيسى القرطبي» المعروف بالأعشى (ت 221هـ) شيئا من الثقافة الشيعية إلى الأندلس.[1] وكان ذلك تمهيدا لقيام الدولة العبيدية في المغرب في نهاية القرن الثالث الهجري (296هـ/) مما شكل خطرا على مذهب أهل السنة والجماعة، حيث تصدى لهم علماء السنّة ولاسيما فقهاء المالكية، حتى رحل عن المغرب إلى مصر عام 358هـ.[2]

والخلاصة أن هذه الفرق المذهبية بقدر ما كانت متنافرة ومتصارعة بقدر ما تمكنت من إيجاد فضاء جديد للتعايش والتعددية في المذاهب الكلامية والاختلاف في المعتقدات، مما جعل الغرب الإسلامي يتشرب أدب المناظرة والحوار، وروح السجال العلمي والجدل الكلامي، وكل ذلك هيأ الجو لقبول أفكارا أخرى لتكريس السجال العلمي والكلامي.

انتشار المذهب الأشعري

تفاعلت عوامل سياسية واجتماعية وأخرى مذهبية في اتساع هيمنة المذهب الأشعري وانتشاره، ففي البداية انحصر انتشاره عند الشافعية فحسب، لكون الإمام «أبي الحسن الأشعري» كان شافعي الفقه، ثم امتد إلى الأوساط المالكية

---

(1) يوسف احنانة: تطور الذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، الرباط، ط:2017 ص 50.

(2) ابن كثير(عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي) (701-773ه) البداية والنهاية، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان ج 2، ط 1425هـ/ 2004م، ص1751.

لكون الإمام «الباقلاني» كان مالكي المذهب في الفقه. ومع أفول نجم المعتزلة في المشرق سينقلب مجموعة من الأحناف الذين كانوا على مذهب معتزلة إلى مذهب وسطي في العقائد وهو مذهب الماتردية، وهو مذهب قريب من مذهب الأشعرية، والذي هيمن على أحناف العراق وأحناف سمرقند بكيفية خاصة.

بل إن المذهب الأشعري تمكن من أن ينتشر بشكل هام حتى في أوساط المتصوفة، حيث احتضنته مجموعة أقطاب الفكر الصوفي منهم الصوفي الشهير «أبا القاسم القشيري (تـ465هـ) و «أبا علي الدقاق» (تـ 405هـ) و «أبا نعيم الأصفهاني» (ت 430هـ).[1]

وبالجملة فإنه ما كاد القرن الرابع للهجرة ينتهي حتى كان المذهب الأشعري قد عرف اقتحاما لمذاهب فقهية ومدارس صوفية، واكتساحا ملحوظا لمساحات جغرافية كبيرة في العالم الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب بشكل لم يسبق لمذهب عقدي قبله أو بعده أن يحققه.[2]

وقد لعب الإمام «أبو بكر الباقلاني» (تـ403هـ) كحامل للواء الأشعرية دورا رائدا في نشر المذهب الأشعري في المغرب، والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول مالكيا في الفروع، ولهذا كان المغاربة يقصدونه للتتلمذ عليه في الفقه وأصوله، فيمدهم بأفكاره ومعتقداته الأشعرية. ثم إن الباقلاني كان يرسل بتلامذته إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي للنهوض بعملية نشر الأشعرية، وتذكر المصادر في هذا السياق أنه بعث بكل من «عبد الله الأذري» أو «الأزدي» و«أبي طاهر البغدادي» إلى القيروان، ولكنها تشح علينا بما قاما به من نشاط ودور حتى وفاتهما بالقيروان.[3]

---

(1) حمد محمد صبحي: في علم الكلام، ط دار النهضة ببروت، 1985 ج1 ص33.

(2) يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 1428هـ/ 2007م، ص 38.

(3) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ط دار الفكر بمشق، 1399هـ، ص ص 120– 121.

وممن أخذ عن الباقلاني من مشاهير علماء المغرب والذين لعبوا دورا في نشر المذهب الأشعري به، «أبو عمران الفاسي» (ت 430هـ)، حيث رحل إلى بغداد سنة 399هـ وتلقى أصول المذهب عن القاضي الباقلاني الذي أعجب بذكائه وحفظه، وبعد أن درس علم العقليات عنه ورجع إلى القيروان قصده الناس من كل جهة» ويصرح أبو عمران الفاسي عن تأثره بشخصية وعلم الباقلاني فيقول: «رحلت إلى بغداد، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والموالف والخوالف حقرت نفسي، وقلت: لا اعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ»[1].

ومن جهة أخرى فقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب كما يرى بعض الباحثين نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق المختلفة، ولما كانت القيروان خلال هذه الفترة نقطة للإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب والأندلس، حيث كان يفد إليها الطلبة من كل جهة لتلقي العلم بها، سواء ما أنتجه علماؤها أو ما جلبوه معهم من رحلتهم إلى المشرق، كما كانت القيروان على طريق الحج والرحلة إلى المشرق، وبذلك كانت مركزا لرجال العلم ومرتعا للأفكار الجديد الوافدة مدا وجزرا.[2]

ولم يكن المغرب الإسلامي بمعزل عن التحولات الفكرية التي تعرفها بلدان المشرق. كما أن علماء المشرق أنفسهم كانوا حريصين على أن تصل آراؤهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي. وكانت بوابة الغرب الإسلامي ومعبر الآراء والمذاهب إليه تونس –أو إفريقية بتعبير القدماء–وخاصة حاضرة القيروان.

(1) القاضي عياض (تـ 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك، تحقيق، أحمد بكير محمود، ط مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج 2 ص 587

(2) جعفر ماجد: العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية، عدد 13، سنة 1976، ص 102

أما العامل الأكثر تأثيرا فهو دخول بعض مؤلفات علماء الأشعرية إلى المغرب والأندلس وما تركته من أثر في طليعة المجتمع، على سبيل المثال لا الحصر نذكر منها: كتب أبي «محمد بن أحمد بن مجاهد» (تـ 370 هـ) تلميذ أبي الحسن الأشعري وكان يذكره الباقلاني فيقول: «شيخنا» منها كتاب «رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين للكتاب والسنة» وكتابه الموسوم «الرسالة في عقود أهل السنة»[1].

وإلى جانب تلاميذ الباقلاني الذين أرسلهم إلى المغرب فقد دخلت كتبه ورسائله مثل «رسالة الحرة» وهي مطبوعة باسم الإنصاف والتي كانت متداولة في المغرب وتذكر المصادر أن أحمد بن محمد التميمي المعروف بابن ورد من علماء المرية كان قد روى كتب الباقلاني من طريق المروزية (تـ 463هـ) ومن كتبه الباقلاني التي لقيت رواجا في المغرب «كتاب التمهيد» الذي كان يدرسه الأذري[2]. وقد بلغ إعجاب أهل المغرب بالباقلاني وكتبه حتى كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث والنوازل التي كانت تقع لهم. وكان لكتاب ابن فورك (ت 406هـ) الموسوم بـ «تأويل مشكل الحديث» رواج في المغرب حتى رواه أكثر من واحد في المغرب والأندلس، يضاف إلى هذا تأثير شخصية أشعرية أخرى هو «أبو المعالي الجويني» (تـ478هـ/ 1086م) من خلال تلاميذه الكثيرين، وكتاباته حيث تمّ شرح كتابه الإرشاد وكتاب البرهان.[3]

---

(1) ابراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1 2005ص 252.

(2) هو أبوعبد الله بن الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري المتكلم الأشعري. نسبة إلى اقليم أربيجان، من تلاميذة الإمام الباقلاني، أرسله إلى دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود، ثم توجه إلى المغرب ومكث في القيروان سنة 423هـ، راجع ابراهيم التهامي: المرجع نفسه ص ص 254 255، وص 250.

(3) ابراهيم التهامي: نفسه، ص ص 260 261.

والملاحظ أنه بدأ يتكون تقارب وتداخل منذ نهاية القرن الرابع الهجري، حينما أخذ المالكية بالاعتقاد الأشعري، حينما تفتح العقل المالكي على طروحات الأشعريين في مجال الأصول.

إرهاصات التأثير

عرف المغرب الإسلامي تعددا وتنوعا في المذاهب، فهناك فقه الأوزاعي وفقه مالك بن أنس، وفقه الخوارج وفقه الشيعة، والفقه الظاهري. ولكن ولعوامل شتى فقد ساد المذهب المالكي بلاد المغرب والأندلس حتى أصبح يمثل الهوية المغربية.

ورغم أن الإمام مالك كان خصما لدودا لكل نقاش عقدي لا ينبني عليه عمل، سواء حول مسألة الذات الإلهية وصفاتها أو التشبيه والتنزيه أو القضاء والقدر أو التأويل العقلي كقوله في الآية الكريمة: «الرحمن على العرش استوى».[1] بـ: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة..» وهذا ما يؤكد ابتعاده عن الجدل الكلامي وعدم الخوض في التأويلات العقلية، إلا أنه اضطر إلى تكوين تصورات عقدية واضحة استند فيها إلى النص الديني، من ذلك أنه ألف رسالة لتلميذه عبد الله بن وهب في القدر سمّاها ((كتاب القدر وما ورد من ذلك في الآثار)) جمع فيها مجموعة من الأحاديث في 26 بابا كلها تثبت أن الإنسان مجبر على أفعاله ومن أن قضاء الله وقدره هو السابق على كل فعل.[2]

(1) سورة طه: آية 05.

(2) مالك بن أنس: كتاب الدرر وما ورد من ذلك في الآثار، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان للنشر والتوزيع، السعودية 1986.

ورغم أن الجيل الأول الذي نقل الفقه المالكي إلى المغرب من أمثال «زيد بن عبد الرحمن الشهير «بشبطون(تـ 193هـ) وأبو الغازي بن قيس (تـ 199هـ) إضافة إلى «عبد الله بن فروخ» و«علي بن زياد»، و«البهلول بن راشد» و«أسد بن الفرات» والإمام «سحنون» كانت مواقفهم كلامية تتميز بطابع الحيطة والحذر وبالطابع الدفاعي في المساجلات التي كانت تجمعهم في حلقات المناظرة والنقاش مع خصومهم من الخوارج والمرجئة أو المعتزلة الذين كانوا في الغرب الإسلامي.

لكن عرف الجيل الثاني من ملكية الغرب الإسلامي نقلة نوعية في الدفاع عن المذهب والتمسك به، مثّله كل من «عيسى بن دينار»(تـ 212هـ) ويحيى بن يحيى الليثي» (تـ 234هـ) ومحمد بن سحنون (تـ 256هـ) و«سعيد بن الحدا» (تـ 302هـ) و«ابن أبي زيد القيرواني» (تـ 386هـ)[1] الذين اشتغلوا بالردود على من خالفهم من مختلف الفرق والعقائد، وصنفوا تآليف في الرد على الخوارج من صفرية وأباضية وعل المعتزلة وكذا على الشيعة الإسماعيلية. وبذلك ستتبلور عند أهل التسليم والتفويض التي كتب لها الثبات والاستمرار عقيدة رسمية في الغرب الإسلامي من هذا التاريخ إلى بداية الدولة الموحدية في النصف الأول من القرن السادس للهجرة، حيث سيتم الاستعاضة عنها رسميا بعقيدة الأشاعرة.

هذا ما يذهب إليه الكثير من الباحثين الذين درسوا الناحية التاريخية المحضة لانتقال العقيدة الأشعرية، ولكن إذا تعمقنا في فحص التراث العقدي والفقهي لبلاد الغرب الإسلامي، نجد أن تأثير الفكر الأشعري بدأ يتسرب إليها قبل

(1) عبد المجيد بن حمرة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، دار الغرب، تونس 1986، ص 32.

ذلك ومن خلال عقيدة أهل التسليم والتفويض في حد ذاتها. والتي لم تبق على ما كانت عليه منذ دخولها المبكر إلى الغرب الإسلامي، بل عرفت تحولات لدى متأخري أهل التسليم والتفويض أمثال «ابن أبي زيد القيرواني» ومن عاصره من علماء الفقه المالكي.

ولعل هذا التغيير هو الذي دفع بعض الباحثين المعاصرين إلى اعتبار إرهاصات تأثير الفكر الأشعري في الغرب الإسلامي، تتجلى في عقيدة أهل التسليم والتفويض، فرسالة ابن أبي زيد القيرواني من بين مجموع مؤلفات أهل التسليم والتفويض في الغرب الإسلامي، التي تمكنت من أن تفرض سيطرتها على الساحة الثقافية.

وإذا كنا لا ننكر تأثير الفكر الأشعري في توجيه القيرواني لأنه عاصر ممثلين كبارا للمذهب الشعري، وله مع بعضهم مراسلات ومساجلات. ورغم أن القيرواني ظلّ على موقفه إلا أن هناك بعض الملابسات الفكرية والاجتماعية والإيديولوجية بدا فكره وكأنه يحمل ملامح التغيير والانتقال من عقيدة أهل التسليم والتفويض إلى عقيدة الأشاعرة.[1]

لكن في حقيقة الأمر أصحاب هذا التوجه من الأشاعرة الذين تولوا شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني هم من أسقطوا عليها التصورات الأشعرية وجعلوا منه أشعريا وهو لا يعلم.

(1) يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 62 .

فمثلا «الطيب بن كيران» (تـ 1227هـ) في شرحه لتوحيد الرسالة عمل على تأويل نصوصها تأويلا جعلها تستجيب لقوالب التفكير الأشعري وتتماشى مع توجهاته.[1]

وكذلك نجد شارحا آخر وهو «محمد بن جسوس» (تـ 1182هـ) قد وضع هو أيضا شرحا على عقيدة الرسالة، قام فيها بإسقاط قوالب أشعرية جاهزة على نصوص هذه المقدمة العقدية، فجعل من القيرواني أشعريا إلى النخاع أيضا، ويبدو أن جلّ الشرّاح لهذه الرسالة في الغرب الإسلامي قاموا بنفس المهمة. وربما لهذه الأسباب تبنى الباحثون المعاصرون اعتبار القيرواني أشعريا، بل هناك من زعم أنه هو أول من ادخل المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، مثل «إدريس روجي هادي» و«عبد المجيد النجار» و«سالم يفوت» وغيره. وقد بالغ هؤلاء الباحثين من خلال تلك الإشارات في الحكم بأشعرية المغرب قبل القرن السادس.[2]

والواقع لا توجد معلومات كافية نستطيع من خلالها أن نكوّن رأيا واضحا فيما يتعلق بصدى الأشعرية بالمغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت، ولكن هناك إشارات متفرقة في ثنايا كتب التاريخ والتراجم تؤلف أرضية لدراسة الموضوع. أما مؤلفات بعض العلماء التي نذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية، والتي تعتبر المنطق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة فإن أغلبها مفقود أو في حكم المفقود.

---

(1) الطيب بن كيران: شرح توحيد الرسالة (مخطوط المكتبة العامة، تطوان) رقم 77 ص 179.

(2) ابراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1 2005،ص 250.

وبالجملة تكاد آراء الباحثين تجمع على أن بداية انتقال التأثير مذهب الأشعري إلى المغرب كان في القرن الرابع الهجري وفي حياة أبي الحسن الأشعري نفسه الذي توفي في 324هـ، ومن أهم الأسماء البارزة التي حام حولها التأثر بالأشعرية، «إبراهيم عبد الله الزبيدي» أو «الزبيري» التونسي الشهير بـ «القلانسي» (تـ 359هـ). ورغم أنه لا يوجد دليل على أن القلانسي نقل المذهب الأشعري من المشرق إلى بلاد المغرب، إلا أن مشاكله مع الدولة الفاطمية بسبب تصنيفه لكتاب في «الإمامة» عارض فيه المذهب الإسماعيلي في القيروان، مما جعل الباحثين المتأخرين يصنفونه من متكلمي الأشاعرة.[1] فقد ذكر البرزلي (تـ 844هـ) أنه كان من مشايخ الأشعرية، ونسب إليه بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان.[2]

ويورد إدريس روجي الهادي في دراسته عن الدولة الصنهاجية شخصية ثانية هي «أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي» (تـ 357هـ) الذي كان له احتكاك ببعض أقطاب الفكر الأشعري في المشرق وألف رسالة في الدفاع عنهم.[3]

وإذا كان فحص هذه المرحلة لا يتطلب منا إحصاء أسماء أعلام الغرب الإسلامي التي أشارت إليها كتب التراجم أو أوردها بعض الباحثين، باعتبارها شخصيات أشعرية لمجرد انتقالها إلى المشرق والتقائها بأقطاب الأشعرية هناك، فإن أفكار ما ذات الطبيعة الأشعرية قد سادت لدى بعض المفكرين المغاربة ممثلي لمذهب أهل التسليم والتفويض مثل مقولة: «أنا مؤمن إن شاء الله» والتي

(1) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الاسلامي، ط 1982، ص 411.

(2) البرزلي: الجامع في مسائل الأحكام، ج 1 ص 91.

(3) ادريس روجي هادي: الدولة الصنهاجية، تعريب، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1992، ص 315.

أجازها الأشاعرة وردها غيرهم من الماتردية، ولم يجزها لا مالك ولا أبو حنيفة.[1]

كل هذا الحفر التاريخي والفكري غير كاف لبناء حقائق علمية او رسم صورة واضحة لانتشار الفكر الأشعري في المغرب من خلال أشعرية الأسماء الواردة، لكن من المؤكد أن إرهاصا أشعريا ولو بسيطا بدأ يظهر في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي الذي كان وثيق الارتباط بالمشرق.

التأثير الفعلي للفكر الأشعري في الغرب الإسلامي

يؤكد الباحثون على أن دخول المذهب الأشعري إلى المغرب كان في أواخر القرن الرابع الهجري، على يد «أبي الحسن القابسي» (تـ 403هـ) الذي رحل باتجاه المشرق طلبا للعلم سنة 353 هـ) وعاد إلى الأندلس مفعما بالفكر الأشعري، متحمسا لنشره ومدافعا عن مؤسس المذهب أبي الحسن الأشعري ومعتبرا إياه من جملة القائمين بنصرة الحق.[2]

وعلى رغم أن مؤلفات القابسي في العقيدة لم تصلنا، إلا أن رسالته الموسومة بـ «رسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» قد شملها بغطاء أشعري جلي. ففي قضية الإيمان نجده يتبنى المفهوم الأشعري، حينما يعتبره اعتقادا بالقلب وإقرارا باللسان، ولا يجعل العمل بالجوارح شرطا من شروط الإيمان فيقول في معنى الإيمان: «.. تصديق فيما عقد عليه القلب واطمأن إليه، وكذلك هو الإيمان بجميع ما جاء به الرسل».[3] وفي مسألة هل القرآن

(1) يوسف أحتانة: المرجع نفسه، ص 68.

(2) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص 123.

(3) أحمد فؤاد الهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف مصر، ط 1968، ص 271

محدث أو قديم؟ يتبنى الرأي الأشعري بقوله» (.. يكفيك من فضل القرآن معرفتك أن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق..)[1].

وجهة أخرى أكثر وضوحا، نجد القابسي يعتمد الأدوات العقلية في رسالة المفصلة التي تؤشر لحضور الفكر الأشعري، فقد استعمل التأويل للأحاديث التي تفيد بظاهرها النهي عن التعليم ليجعلها بفعل التأويل تبيحه ولا ترى فيه مانع، كما نجده في أكثر من موضع يعتمد قياس الغائب على الشاهد كأدلة منطقية وظّفها الأشاعرة كثيرا في مقاييسهم العقلية. ولعل رسائله ككتاب الاعتقادات، وكتاب المبعد عن شبه التأويل وهي كتب مفقودة لحد الآن، تحوي الكثير من آرائه الاعتقادية ومناهجه التحليلية، التي لو وصلتنا لأمكننا إبراز هذه الشخصية وأفكارها بتفصيل أكثر، باعتباره أول من حمل الفكر الأشعري إلى المغرب الإسلامي، بل أنه ترك جيلا من التلاميذ وعلى رأسهم «أبي عمران الفاسي» (تـ 430 هـ) الذي لم يدخر جهدا في نشر المذهب الأشعري في المغرب.[2]

ومنهم «أبو عمر الطلمنكي» عالم القراءات الأندلسي الذي اتهم في زمنه من قبل طائفة من فقهاء الأندلس بأنه يمثل مذهبا عقائديا غريبا عن السنة وأشبه بمذهب الحرورية، ورغم أن كتب التراجم لا تصنفه ضمن طبقات الأشاعرة، لكن ما نقله الإمام الذهبي من شذرات عن كتابه المفقود والموسوم بـ «الوصول إلى معرفة الأصول» تظهر استعماله للتأويل، كقوله في قوله تعالى: «وهو معكم أينما كنتم» أو نحو ذلك من القرآن «..أنه علمه»، وكذلك فهو لا يعارض تسمية

(1) أحمد فؤاد الهواني: نفسه، ص 281

(2) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت) ص 201

الله بأسماء يشترك فيها مع مخلوقاته،[1] بحجة أنه لو كان الاشتراك في الصفات والأسماء، يوجب الاشتباه لكانت جميع الموجودات مشتبهة ومختلطة على إدراكنا وأفهامنا لأنها جميعها تشترك في كونها أشياء وكونها موجودات. فلو كانت صفة الوجود للذات الإلهية من الصفات التي يشترك فيها الله مع مخلوقاته، والتي توجب اشتباها لكان تبعا لذلك وجوب نفي صفة الوجود عن الله، وذلك مستحيل.[2] وهكذا يدافع الطلمنكي عن قناعاته بمنطق جدلي يستخدم فيه السجال العلمي والاستدلال العقلي، مما يكشف بوضوح أشعريته، ويجعله من رواد هذا المذهب في الأندلس.

أما «أبا الوليد الباجي»(تـ 474 هـ) الذي لا يشك في أشعريته لمواقفه الصريحة في الدفاع عن علمائهم وفي استخدام أدواتهم كما يظهر ذلك في رسائله العقدية التي وصلتنا، وقد صنفه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي من أشهر أشاعرة ذلك العصر.[3]

(1) يقول الطلمنكي: «.. قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله –عز وجل–بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق عن اسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لن المعقول في اللغة أن الاشتباه لا يحصل بالتسمية، وإنما تشتبه الأشياء بأنفسها وبهيئاتها فيه كالبياض بالبياض والسواد بالسواد، والطويل بالطويل والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهان لاشتبهت الأشياء كلها لشمول غسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به، فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعن، قيل لهم: هل يلزمكم من دعواكم أن يكون مشتبها للموجودين؟ وإن قالوا: موجود لا يوجب وجوده الأشياء بينه وبين الموجودات. قلنا: فكذلك هو حي، علم قادر، سميع، بصير، متكلم. يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفا.." راجع الذهبي: العلو للعلي الغفار، مطبعة المنار، 1332هـ، ص 214.

(2) يوسف أحتانة: المرجع نفسه، ص 74.

(3) يذكر اليفرني أن أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي وجه سؤالا إلى أبي الوليد بن رشد الجد (تـ 520هـ) يسأله فيه عن الحكم في آراء الأشاعرة المشهورين كأبي الحسن الأشعري، وأبي إسحاق الإسفرايني، وأبي بكر البااقلاني، وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي الجويني، وآبي الوليد

يتضح ذلك من حرصه على جعل علم الكلام من أهم العلوم بقوله: «إن أفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك أن يوفق أن يجوّد قراءة القرآن، ويحفظ حديث النبي ﷺ ويعرف صحيحه من سقيمه، ثم يقرأ أصول الفقه، فيتفقه في الكتاب والسنة، ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل من العلماء، ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج»، فهذه هي الغاية القصوى والدرجة العليا.[1] وعموما فإن أبا الوليد الباجي هو صورة واضحة في هذه الفترة تأثير المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، إذ ظلت آراءه العقدية تتردد في كتب العقائد، حيث أدرك بوعيه الثاقب أن إدخال المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي يتطلب ترسيخ أدب المناظرة والجدل، وأن يضع منهاجا في ترتيب الحجاج في وقت كان أهل عصره: «عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين..»[2] ولكن دون أن يتأثر بالمنطق الأرسطي كما سيفعل أنصار الفلسفة المشائية، بل كان علم الكلام عنده يسير بمحاذاة مع طريقة أهل التسليم والتفويض في هذه الفترة الانتقالية التي عرفها الغرب الإسلامي حيث احتدم الصراع بين مفكري أهل التسليم والتفويض ومفكري الأشاعرة.

ترسيم التأثير أم التأثير الرسمي؟

ظلت الأشعرية في عهد المرابطين حبيسة الأوساط العلمية، لأنهم كانوا شديدي التحفظ مما يمكن أن يزعزع الوحدة الدينية والمذهبية للمجتمع. وكانت

الباجي، فكان تصنيف أبي الوليد الباجي مع أشهر الأشاعرة من مثل هذا المذهب في المشرق. راجع، أبو الحسن اليفرني: المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، الخزانة الملكية رقم 11741، ص 104.

(1) أبو الوليد الباجي: رسالة الباجي لولديه، تحقيق عبد الرحمن هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد المجدل1 العدد 3، ص 35.

(2) الباجي : المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، باريس ط 1976، ص 7.

نزعة المحافظة عند طائفة من العلماء المقربين من أمراء المرابطين وحرص طائفة أخرى على إرضائهم من أسباب هذا الوضع.

ورغم وجود من تأثر من هؤلاء العلماء بالفكر الأشعري قليلا أو كثيرا، وأخذه بطريقة رجاله في الجدل، وفي تفسير المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى وأسمائه، إلا أن هذا كان في نواح جزئية منه فقط، أما وجود المذهب بشكله المتكامل فكان يواجه معارضة شديدة دل على ذلك موقفهم من ابن تومرت بعد عودته من المشرق وشروعه في بث هذا المذهب في المغرب.(1) هذا ما ذكره الناصري بقوله: « ... وإن كان قد ظهر – أي المذهب الأشعري- بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما..»(2)

ورغم ارتباط قيام الدولة المرابطية بشخصية أشعرية هي شخصية أبي عمران الفاسي الذي أوعز إلى تلميذه «وجاج بن زلو اللمطي» وإلى «عبد الله بن ياسين» إلى التحرك لتأسيس الدولة، إلا أن أخذت في منحاها عكس التوجه الذي أراده مؤسسوها الأوائل،(3) حيث لم يتمكن أبو عمران الفاسي من حضور قيام دولة المرابطين، إلا أن فكره الأشعري استمر من خلال تلاميذه من بعده، ومنهم «أبو بكر محمد الحسن المرادي» (تـ 489هـ/ 1096م)الذي وصفه «التادلي» بكونه أول من أدخل علوم الاعتقادات على الطريقة الأشعرية إلى المغرب الأقصى، ثم تلميذه «أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير» (تـ 520هـ/ 1126م) الذي اعتبر كتابه «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد»(4) نظم إرشاد العالم

(1) ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 247.

(2) أبو العباس الناصري: الاستقصا لدول المغرب الأقصى: ج 1 ص 63.

(3) يوسف أحنانة: المرجع السابق، ص 80

(4) يذكر محمد المين بلغيث: «كثر شرّاحه إلى القرن 9هـ/ 15م» راجع دراسات في المغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر ط 2000، ص 99.

الأشعري الجويني، حيث وضع شروطا صارمة في استدلال الشاهد على الغائب، وكذا التأويل العقلي الذي لا يخرج عن موقف الأشاعرة في ذلك.

وعلى العموم فإن قيام الدولة المرابطية كان محاولة أولية لترسيم الفكر الأشعري، فرغم الخلاف من حيث التوجه العقدي والفروعي لبعض علماء الزمن المرابطي، إلا أن الكثير منهم وقف إلى جانبها، فأبو عمران الفاسي أعلن الفكرة وتحرك لتأسيس المشروع، وأبو الوليد الباجي لعب دورا في التمهيد للجهاد المرابطي في الأندلس، وأبو حامد الغزالي (تـ 505هـ) أضفى المشروعية الدينية والتزكية الفقهية لتوسع المرابطين على حساب أمراء الطوائف في الأندلس، وأبو بكر بن الحسن الحضرمي المرادي وأبو الحجاج الضرير فضلا من أجل إرساء العقيدة الأشعرية بالمغرب، أما أبو بكر بن العربي(تـ 543هـ) والقاضي عياض(تـ 544هـ) فقد ناضلا من أجل شرعية السلطة المرابطية.[1]

وخلاصة القول أنه رغم وجود تأثر المغرب بالفكر الأشعري على العهد المرابطي فإنه لم يحدث له ترسيخ على المستوى الرسمي، ففي الجانب الفقهي اتلوا عن أصول المذهب المالكي وكثر العمل بكتب الفروع حتى نسي النظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام،[2] أما على مستوى الاعتقاد فقد نافروا علم الكلام على الطريقة الأشعرية واعتبروه بدعة في الدين، وبذلك لزموا عقيدة التسليم والتفويض.

وهكذا استمر النزاع المذهبي العقدي والفقهي داخل الفكر الإسلامي قائما في الغرب الإسلامي منذ نهاية القرن الثاني الهجري إلى قيام دولة الموحدين،

(1) أحمد الخاطب: التيارات الفكرية، ج 1 ص 383.

(2) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 254.

وكانت أبرز ملامحه السجال بين الرواية والدراية والقياس على المستوى الفقهي، والأثر والاجتهاد بالإضافة إلى الإيمان والكفر ومرتكب الكبيرة وخلق القرآن على مستوى العقيدة.

وإذا كان هناك من يرى أن التأثير الفعلي للمذهب الأشعري في المغرب كان ملازما لقيام دولة الموحدين، فإن القضية تتطلب دراسة واستدلال على مستوى التطور الفكري، وإلى استشهاد وتنصيص على مستوى الرواية التاريخية. والجديد في هذه المرحلة، هو ما يضاف إلى دور الفقهاء المالكية والعلماء الأشاعرة، من موقف السلطان، فحينما جاء ابن تومرت (524هـ/ 1129م) أرسى المذهب الأشعري وسعى بعقيدته المرشدة إلى فرض المذهب بالسلطة السياسية، ونشره بين العامة بعدما كان يختص بالطبقة العالمة فحسب. وقد صور المقرزي ذلك بقوله: «.. توجه أبو عبد الله أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أب حامد الغزالي المذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب، وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم .. فكان هذا السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره (في المغرب)»[1]، وأكد المراكشي طبيعة الدور الذي قام به المهدي بن تومرت بقوله: «وكان جل ما يدعو إليه علم الا عتقادد على الطريقة الأشعرية»[2].

وقد عمل الموحدون على ترسيخ العقيدة الأشعرية عبر خطوات، أولها عن طريق المؤلفات، وكان كتاب المرشدة، وكتاب «اعز ما يطلب» هو خميرة العقيدة الأشعرية المشتمل على رسائل في الأصول والفقه والتوحيد والمسائل العقدية، ثم

(1) المقرزي (أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين تـ 745ه): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار دار صارد ط بولاق، بدون تاريخ طبع، ج2 ص 358.

(2) المراكشي (عبد الواحد بن علي تـ 647ه): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963، ص251.

محاربة كتب الفروع وإحراق كتب المذهب المالكي، وتشجيع كتب المنطق والفلسفة، والدعوة إلى الثورة على التقليد وتشجيع الاجتهاد، لدليل على تكريس لما دعا إليه علماء الأشعرية، حيث شجع حكام الدولة الموحدية الحركة العلمية والعقلية، فظهرت مؤلفات ابن ماجة(تـ 533هـ/ 1138م)في المنطق والنفس والعقل، ومؤلفات أبي بكر بن طفيل (تـ581هـ/ 1181)في الرياضيات وفي العلوم الطبيعية والفلسفة والكلام وغيرها.

ومن ناحية أخرى شجعوا العلماء على دراسة وتدريس المصادر الحقيقية للمذهب الأشعري ككتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني. ومن أبرز علماء هذه الفترة أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي (تـ574هـ) الذي نبغ في علم العقيدة وكثر تلامذته الذين أخذوا عنه العقيدة الأشعرية حتى لقب بـ «منقذ أهل فاس من التجسيم». وقد عرفت رسالته المختصرة «العقيدة البرهانية» انتشارا واسعا في المغرب، وأقبل عليها العلماء يشرحونها ويدّرسونها.[1]

وحتى يعطي الموحدون المشروعية لحكمهم فقد وظفوا قضايا العقيدة في نزع المشروعية من المرابطين واتهموهم بالتشبيه والتجسيم، وبذلك ستعرف الأشعرية بالمغرب مرحلة مد عام وكاسح لتكامل الأدوار ما بين سلطة العلماء والسلطة السياسية، ومن ذلك أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشاعرة وتقريره درسا وتأليفا، بعدما بصرهم المهدي بذلك وحملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذهب الأشاعرة في كافة العقائد كما ذكر السلاوي،[2] وتمكن بن تومرت من حمل أهل المغرب على تقليد المذهب الشعري والانتصار له.[3]

(1) عن وزارة الأوقاف المغربية، موقع الأشعرية في المغرب.

(2) أبو العباس السلاوي الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق و وتعليق، جعفر الناصري، وحمد الناصري، دار الكتاب دار البيضاء، ج2 ط 1418هـ/ 1997م، ج2 ص80.

(3) ابن خلدون، كتاب العبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001، ص 302

ولاشك أن التأثير الأشعري بعدما ترسم في الدولة الموحدية قد ازداد من خلال المؤلفات والشروح ولاسيما كتاب الإرشاد لإمام الحرمين الحويني (تـ 478هـ/ 1085م)، ثم تعاطي أهل المغرب العقيدة الوجيزة المشهورة بالعقيدة السلالجية المختصرة من كتاب الإرشاد، ثم عقيدة الرسالة القيروانية، ثمّ المرشدة التومرتية والتي كانت على شروح عدّة[1]، كما تمّ اعتماد العقيدة السفاقسية المنسوبة إلى «أبي الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد السفاقسي» (تـ 501هـ/ 1104م) والمسماة أيضا بالعقيدة السنية التي كانت أول نص عقدي يلخص العقيدة الأشعرية في المنطقة.[2] واندماجا أكثر في المذهب الأشعري والعقيدة الأشعرية بالغرب الإسلامي، فقد قام «أبو الحسن الضحاك الغرناطي(تـ 522هـ) بشرح كتاب الإرشاد وسماه «منهاج السداد في شرح الإرشاد»، كما شرحه الإمام المازري (تـ 536هـ/ 1141م) الذي برع في علم الأصول وعلم الكلام، وسماه «المهاد في شرح الإرشاد»[3]، ونتيجة لذلك برز علماء مغاربة تأثروا بالأشعرية وألفوا فيها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: «أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدي» (تـ 501هـ) و «أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي» (تـ520هـ). و«أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو ذؤيب الهزلي».[4]

أما في زمن ما بعد الموحدين، فمظهر آخر أكثر بينّ رسوخ المذهب الأشعري وتطوره بالغرب الإسلامي، تمثل في بناء المدارس وانتشارها على العهد المريني والزياني والحفصين والتي كانت بمثابة دافع قوي لرسوخ المذهب وتداوله. ومن

(1) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المطبعة الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربيةط1996، ص 309.

(2) يوسف احنانة: المرجع نفسه، ص 88.

(3) عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الوسط خلال القرنين 7 و8 هـ، جامعة الجزائر 2014، ص 80.

(4) إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص ص 266 267.

أهمها: مدرسة «آزمور وآسفي» و«أغمات» و«القصر الكبير» ومدارس فاس «الصفارين» و«الحلفاويين»، ومدارس «الصهارج» و«العطارين» و«القرويين» و«المدينة البيضاء» و«المصباحية» والمدرسة «البوعنانية» الشهيرة. وفي تلمسان أنشئت مدرسة «العباد» ومدرسة ابني الإمام».[1]

ورغم ذلك بقيت «البرهانية» و«مرشدة» ابن تومرت مهيمنتان على مجالس العلم بالمغرب إلى أن ظهر العلامة محمد بن يوسف السنوسي (تـ895هـ) الذي يعتبر باعث الحركة الأشعرية بفضل جهوده في الدرس ضمن ما ألف في العقيدة رسالته «أم البراهين» أو «العقيدة الصغرى». فكتب لها الانتشار لصغر حجمها، وبعدها عن التعقيد.

وأصبحت عقائد السنوسي إلزامية في تعليم وتدريس الصغار والكبار، وقد أكد «علي ثابت مغربي» ووجوب النظر العقلي العقائد على العموم، وتعميم المعرفة الكلامية على مجموع أفراد المجتمع عامتهم وخاصتهم واعتبار ذلك شرطا أساسيا في الإيمان،[2] واستحدث السنوسي منهجا جديدا في الكتابة يجمع بين التوحيد والمنطق والفقه والحديث وهي مستوحاة من الجويني، وذلك ما عرف بالأشعرية السنوسية أو الأشعرية على الطريقة السنوسية، حيث يعتبر السنوسي باعث نهضة أشعرية جديدة في جو ساده الجمود والتقليد وقلة العلماء المبرزين، فحارب الإهمال في علوم النظر وأسهم بعدة مؤلفات.[3]

(1) حسن حافظي العلوي: الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 157، ص –ص 138 – 140

(2) محمد الأمين بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 102.

(3) العقيدة الكبرى «عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد 2 شرح العقيدة وسمي «عمده أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد».-3- العقيدة الوسطى.04- –شرح العقيدة الوسطى 5- العقيدة الصغرى وتسمى

وظلت «أم البراهين» وشروح العلماء عليها مرجعا في علم العقيدة بالمغرب في حلقات الدرس إلى عهد قريب. ولم يكن يزاحمها على هذه المكانة إلا بعض المنظومات العقدية باللغة الأمازيغية التي كان بعض الفقهاء يؤلفونها لتكون مرجعا لطلبة منطقة سوس في بعض الزوايا. وقد كان للمنظومة المسماة بالجزائرية دورا مهما كذلك في تثبيت عقائد الأشعري في الجزائر وهي زبدة العقيدة الأشعرية عدد أبياتها 355 بيت وصاحبها البحر العلامة أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري المتوفى سنة 884 ه وهو تلميذ الولي الصالح المفسر عبد الرحمن الثعالبي شيخ الجزائر وقبره يزار الى اليوم من العلماء و العوام في أعالي العاصمة و بالذات بحي القصبة العريق. و قد شرح الجزائرية الإمام السنوسي شرحا مفصلا في كتاب سماه «المنهج السديد في شرح كفاية المريد» و بعدما اطلع الزواوي على شرح السنوسي لجزائريته أثنى عليه ثناء كبيرا و على شرحه بأبيات زيدت في بعض المخطوطات مع مقدمة الجزائرية للفائدة.

=أيضا «أم البراهين» والسنوية»- 6- شرح العقيدة الصغرى.7- عقيدة صغرى الصغرى أو صغيرة الصغرى وهي التي تسمى «الحفيدة» 8- شرح صغرى الصغرى وله فيها نكت وفوائد مهمة 9 -عقيدة صغرى الصغرى، وتسمى بالعقيدة الوجيزة أو عقيدة النساء.10- المقدمات وهي مجموعة لمشروعة العقدي وبخاصة لعقيدة الصغرى التي حازت الشهرة الوافية.11- - شرح المقدمات. 12- شرح على منظومة شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري (تـ 884 هـ) وهي المسماة «كفاية المريد في علم التوحيد».13- شرح على منظومة تلميذه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي (تـ 910 هـ) وهي المسماة «واسطة السلوك 14 - شرح على مرشدة محمد بن تومرت.15- شرح جواهر العلوم لعضد الدين الإيجي. راجع: يوسف احنانة: المرجع نفسه، ص 214.

الخاتمة

والخلاصة قد أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني في خلق انسجام مذهبي وعقدي في المغرب جنبّه كثيرا من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية، وبرغم بروز اتجاهات عقدية غير أشعرية عند بعض علماء المغرب بعد القرن السادس الهجري وكان هذا نادرا جدا فالمغرب الإسلامي لم يعرف إلا المذهب المالكي فقها والأشعرية عقيدة والتصوف سلوكا وورش قراءة) فإن التعبير عن الخلاف كان محصورا في السجال العلمي.

ومن ناحية أخرى كان للمذهب الأشعري دورا هاما في صياغة مجتمع الغرب الإسلامي، وتوجيه تصوراته العقدية ونمط تفكيره.

فهرس المصادر والمراجع

1) إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الراسالة ناشرون، بيروت، ط1 2005.

2) ابن خلدون، كتاب العبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001.

3) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ط دار الفكر بدمشق، 1399هـ.

4) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية ن بيروت، (د ت).

5) أبو الحسن اليفرني: المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، الخزانة الملكية رقم 11741.

6) أبو العباس السلاوي الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى تحقيق و وتعليق، جعفر الناصري، ووحمد الناصري، دار الكتاب دار البيضاء، ج2 ط 1418هـ/ 1997م.

7) أبو الوليد الباجي: رسالة الباجي لولديه، تحقيق عبد الرحمن هلال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد المجدل1 العدد 3، ص 35.

8) المقرزي (أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين تـ 745ه): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار دار صارد ط بولاق، بدون تاريخ طبع.

9) المراكشي (عبد الواحد بن علي تـ 647ه): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963.

10) أحمد فؤاد ألهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف مصر، ط 1968.

11) ادريس روجي هادي: الدولة الصنهاجية، تعريب، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط 1992.

12) الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، باريس ط 1976.

13) البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) تـ 841هـ/ 1438م: الجامع في مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكامـ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 2002.

14) جعفر ماجد: العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية، عدد 13، سنة 1976.

15) حسن حافظي العلوي: الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 157.

16) حمد محمد صبحي: في علم الكلام، ط دار النهضة بيروت، 1985.

17) الذهبي: العلو للعلي الغفار، مطبعة المنار، 1332هـ.

18) الطيب بن كيران: شرح توحيد الرسالة (مخطوط المكتبة العامة، تطوان) رقم 77 ص 179.

19) عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الوسط خلال القرنين 7 و 8 هـ، جامعة الجزائر 2014.

20) عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، دار الغرب، تونس 1986.

21) القاضي عياض (تـ 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق، أحمد بكير محمود، ط مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

22) مالك بن أنس: كتاب الدر وما ورد من ذلك في الآثار، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان للنشر والتوزيع، السعودية 1986.

23) محمد الأمين بلغيث: دراسات في المغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر ط 2000.

24) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المطبعة الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربيةط1996.

25) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب افسلامي، ط 1982.

26) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. وزارة الأوقاف المغربية، موقع الأشعرية في المغرب.

27) يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 1428هـ/ 2007م.